المتحجرات اللغوية الساميَّة التركيبية

إعداد

محمود بن عبد المطلب بن أمير

طالب دراسات عليا بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز - السعودية

المتحجرات اللغوية السَّاميَّة التركيبية

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى إثبات ما هو من خصائص العربية الفصحى وما هو مشترك ساميّ، وكشفِ السياق اللغوي التاريخي لبعض الظواهر في المستوى التركيبي، وتأكيدِ الآراء اللغوية العربية أو مناقشتها بمعطيات الدراسات السامية، وبيان مدى اطراد بعض الرؤى اللغوية الدلالية عند فحصها في ضوء الدراسات السامية.

وقد اتبعت هذه الدراسةُ المنهج التاريخي المقارن في معالجة القضايا اللغوية العربية بلَحظ الظواهر المشتركة بينها وبين الساميَّات، ورصد التطور اللغوي في مستواه التركيبي بالموازنة بين منظور الدراسات السامية ومنظور البحث التراثي اللغوي.

وأثبتت الدراسة أن من المتحجرات اللغوية السامية: لغة أكلوني البراغيث (وهي أصل مطرد فيها)، ولغة المطل في تاء المخاطبة (مطل تاء المخاطبة أصيل في بعض اللغات السامية كالعبرية والآرامية والجعزية، فلغة المطل لغة فصيحة ممتدة من الساميات)، والتمييم (استعملت العربية التمييم والتنوين معًا، وكذلك بعض الساميات، ولكن تنوسيت ظاهرة التمييم في العربية لاستقرارها على ظاهرة التنوين، وأما بعض الساميات الأخرى فقد استقرت على ظاهرة التمييم)، وهاء التعريف (الهاء أداة من أدوات التعريف في الساميات؛ وما يرد في العربية منها فهو من البقايا المتحجرة من اللهجات العربية البائدة التي استقرت فيها ظاهرة التعريف بالهاء).

وأوصت الدراسة في ختامها بتصحيح أنظار ما ترسخ في الذهن تجاه بعض القضايا أنه من قبيل العدول عن الفصاحة، وتوسع مباحثة الركام السامي.

الكلمات المفتاحية: اللغات السامية، المشترك السامي، فقه العربية المقارن، الدرس السامي المقارن، دراسة مقارنة.

The Semitic syntax linguistic fossils

Abstract

This study aimed to prove what is of the characteristics of classical Arabic and what is of the Semitic linguistic commonality, revealing the historical linguistic context of some phenomena syntactic level, confirming or discussing Arabic linguistic views by utilizing Semitic studies' evidence, and showing the extent of consistency of some semantic linguistic visions in the light of Semitic studies.

This study followed the comparative historical approach in addressing linguistic issues in the Arabic language by observing the phenomena common to it and the Semitic languages, and monitoring linguistic development at its synthetic level by balancing the perspective of Semitic linguistic studies with the perspective of linguistic heritage research.

The study proved that among the Semitic linguistic fossils are: the language of *Aklwny al-Barāghīth* (in which it is a fixed origin), and the language of protraction in addressing, *Tmyym*, and definition *ha*. The comparative lesson is useful in addressing the phenomenon of the simplicity and structure of pronouns, the return of some of them to one nucleus, in verifying the multiplicity of pronunciation and dialects, and in revealing the formation and classification of grammatical tools in Arabic.

At the end of the study, the study recommended correcting what was established in the mind towards some issues, such as refraining from rhetoric, expanding the discussion the Semitic linguistic fossils.

Keywords: Semitic languages, Semitic linguistic commonality, comparative Arabic jurisprudence, comparative Semitic linguistic lesson, comparative stud.

١. المقدمة:

عني الباحثون في مجال اللسانيات المقارنة بدراسة أسرة (اللغات الساميَّة) المنتمية إلى أسـرة لغوية أكبر هي أسـرة (اللغات السـاميَّة الحاميَّة)، فكانت الريادة المسـبَقة في دراستها للمستشـرقين ثم عقبهم الدارسون العرب، وقد تناثرت قضايا العربية في تلك الجهود التي رفد بها أصحابها في تطوير الدرس اللغوي المقارن.

ولتبيان تلك الإسـهامات في مقاربة قضـايا العربية التركيبية بمنهج لغوي مقارن، كان لزامًا على الباحث تتبع مواضـعها في المصـادر والمراجع اللغوية المقارنة التي عُنيت بذلك، مع تحليلها ومناقشـتها وربطها بالبحث اللغوي القديم عند العرب، وذلك في دراسةٍ بعنوان **(المتحجرات اللغوية الساميَّة التركيبية)**.

وتَبرُزُ أهميةُ هذه الدراسةِ في تتبُّعِ إسهامات الدراسات اللغوية الساميَّة - ولاسيَّما العربية- في النهوض بهذا الحقلِ المعرفيّ (حقلِ الدراسات الساميَّة)، وقراءةِ تلك الأعمال لتوظيفها في معالجة بعض القضـايا اللغوية في العربية التي يُظنُّ أنها نتيجة امتدادٍ للدرس المقارن واسـتمرارِه متمثلًا في الدرس اللغوي التأثيلي، وهذا ما سـيؤدي إلى بيان أوجه التغير والتقارب بينها وبين أخواتها السـاميَّات، نتيجةً للتطور الطبيعي للغات عبر العصور من جهة، والدراسات اللغوية من جهة أخرى.

وقد وقع اختياري على هذا الموضـوع لحاجة بعض القضـايا النحوية التي بُحثت أو اسـتظهِرت بعيدًا عن الدرس اللغوي المقارن، إلى الكشـف عن إسـهامات الدراسـات اللغوية الساميَّة في توجيهها وتفسيرها.

وتبدو بعض الآراء والدراسـات اللغوية حول بعض قضـايا العربية وظواهرها ذات تناول اجتزائي بمعزل عن أخواتها الساميات، وهو أمر قد يفضي أحيانًا إلى نتائج يشوبها بعض المآخذ والاسـتدراكات عند إبداء الحكم في بعض القضـايا النحوية. وتحاول هذه الدراسـة عرض بعض قضـايا النحو العربي وظواهره التي يمكن الاسـتعانة في معالجتها بمعطيات الدراسات اللغوية السامية.

وتقوم هذه الدراسة على فرضية أساسية، وهي أن بعض القضايا اللغوية في العربية بينها وبين اللغات التي هي من أسرتها صلات لغوية مشتركة، يمكن في ضوئها قياس مدى قدم بعض الظواهر في العربية، فحيثما تظهر الملامح المشتركة يُحكَم عليها بالركام اللغوي. كما يمكن أن تُلاحظ بعض التطورات المشتركة بين العربية وأخواتها من الساميَّات في ضوء الدراسات الساميَّة، وهو أمر يمكِّن البحثَ من التنبؤ بمسار التغيرات اللغوية التاريخية لبعض ظواهر العربية، والحكم على سبب توقفه أو استمراره.

وبناءً على ما تقدم يأمل الباحث أن تجيب هذه الدراسة عن التساؤلين الآتيين حسب ما أفرزته الدراسات السامية: هل دراسة المستوى التركيبي بحاجة للنظر فيه في ضوء نتائج الدراسات السامية؟ وأَيصحُّ كل ما نسب من الظواهر والتركيبية إلى العربية الفصحى أو بعض لهجاتها؟ أم أن بعض تلك الظواهر تعدُّ تطورًا تاريخيًّا امتدَّت من الساميَّات؟

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية: إثبات ما هو من خصائص العربية الفصحى وما هو مشترك ساميّ. وكشف السياق اللغوي التاريخي لبعض الظواهر في المستوى التركيبي، للتفريق بين ما هو خاص بالعربية الفصحى ولهجاتها وما هو ممتد من الساميَّات. وتأكيد الآراء اللغوية العربية أو مناقشتها بمعطيات الدراسات السامية وإفادتها في توجيه بعض المسائل وتفسيرها بمستوياتها اللغوية المختلفة.

ويظهر -في حدود ما اطلعت عليه- أن الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع لم تبحث قضايا المتحجرات اللغوية في ضوء الدراسات اللغوية الساميَّة والموازنة بينها وبين التراث النحوي العربي، وقد تناول بعض أطراف هذا الموضوع:

برجشتراسر، جوتهلف (١٩٩٤) **التطور النحوي للغة العربية**، تحقيق: رمضان عبدالتواب، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.

تناولت هذه الدراسة الظواهر اللغوية في العربية بمختلف مستوياتها ومنها التركيبات فبحثت فيها عن تركيب الكلمات داخل الجملة وعن أنواع الجمل وتراكيبها، وفي المفردات بحثت عن المشترك السامي وعن الدخيل في العربية.

تفيد هذه الدراسة في مناقشة بعض الظواهر التركيبية ضمن منظومة المقارنات الساميَّة، لكن تغلب عليها المقارنة بالعبرية والآرامية وأحيانًا بالحبشية والأكدية، مع غياب المقارنة بالعربية الجنوبية، وعدم ظهور بعض القضايا التي تعالجها هذه الدراسة.

وعلى هذا فإنه لا تشابه بين دراستي هذه، ودراسة برجشتراسر من جهات: أنه لم يَستفد كثيرًا من المدونات النحوية العربية، ولم يوازن بينها وبين ما يبديه من آراء لغوية مقارنة. وأنه لم يقارن بالمجموعة الساميَّة الجنوبية.

ويتبين من هذا العرض أن هاتين الدراستين وإن كانتا تتقاربا مع دراستي هذه في بعض القضايا اللغوية، فإنها تختلف عنها في جملة من القضايا الموضحة أعلاه وفي كيفية المعالجة.

وقد اتبعت دراستي هذه المنهج التاريخي المقارن في مقاربة القضايا اللغوية في العربية بملاحظة الظواهر المشتركة بينها وبين أخواتها الساميَّات، ورصد التطور اللغوي في مستواها التركيبي في ضوء الدراسات اللغوية الساميَّة، مع الموازنة بين منظور تلك الدراسات ومنظور البحث اللغوي التراثي عند العرب لمقياس مدى التوافق والتخالف.

وحرصًا على توحيد كتابة اللغات السامية، فقد استعملت الدراسة الرموز الصوتية العالمية، متابعة الرموز الصوتية المستعملة في (معجم المشترك اللغوي العربي السامي) ليحيى عبابنة وآمنة الزعبي، وهما اتبعا في ذلك المدرسة الألمانية قدر الإمكان.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون الدراسة في أربعة محاور، مسبوقة بمقدمة. تتضمن المقدمة التعريف بالموضوع وأهميته وأسباب اختياره ومشكلة البحث وفرضياته وتساؤلاته وأهدافه والدراسات السابقة عليه والمنهج المتبع فيه.

ويعالج المحور الأول لغة أكلوني البراغيث، والثاني لغة المطل في تاء المخاطبة، والثالث التمييم، والرابع هاء التعريف.

وبعد ذلك تأتي الخاتمة مذيلة بأهم نتائج البحث وتوصياته، ملحقة بثبت المصادر والمراجع.

٢- المتحجرات اللغوية السامية:

يقصد بالمتحجرات اللغوية السامية: بقايا الظواهر المندثرة في العربية من الساميات، ويمكن أن يطلق عليها (الركام السامي)، أخذًا بما أطلقه رمضان عبدالتواب (الركام اللغوي) ويراد بذلك الرسوبيات الباقية من الموروث اللغوي السامي القديم[١]، ومن ظواهر المتحجرات اللغوية السامية في العربية:

١,٢- لغة (أكلوني البراغيث):

استقر في النظام التركيبي للعربية الفصحى على أن الفعل إذا تقدم على الفاعل، يجب إفراده ولا تتصل به علامة تثنية أو جمع، ولو كان فاعله مثنًّى أو مجموعًا، ولكن ثمة أداءات لغوية جاءت الجمل الفعلية فيها بمطابقة الفعل والفاعل في العدد، بحمل الفعل علامة دلالة على عدد الفاعل.

وأطلق النحويون على هذه السياقات التركيبية مصطلح (لغة أكلوني البراغيث)؛ لورود هذا المثال في كتاب سيبويه واشتهرت هذه اللغة به، مع ضربه أمثلة أخرى لهذه الظاهرة[٢]. وحكيت هذه اللغة عن قبيلة طيء وبلحارث بن كعب وأزد شنوءة، وظلت بقاياها حية[٣].

---

(١) انظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ١٧. ويحيى عبابنة، دراسات مقارنة في فقه اللغة العربية، ٥٤.

(٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ١/١٩-٢٠، ٧٨، ٢/٤١.

(٣) انظر: أبو حيان، التذييل والتكميل، ٦/٢٠٣-٢٠٦.

ومن شواهدها:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣].

وقول الشاعر:

أُلفيتا عيناك عند القفا*** أَولى فأولى لك ذا واقيه[١]

وقوله:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي *** فأعرضن عني بالخدود النواضر[٢]

وقد استمرت هذه الظاهرة في أشعار الطائيين من المولدين كما في شعر أبي تمام[٣]، وذكر أبو حيان أن هذه اللغة عند جمهور النحويين ضعيفة، ثم عقب وقال: كثرة ورود ذلك يدل على أنها ليست ضعيفة[٤]. ولمَّا عدَّها الحريري لحنًا ولغة ضعيفة، عقب عليه الشهاب الخفاجي بأن الأمر ليس كما ذكره، بل هي لغة قوم من العرب، وشواهدها لا تحصى[٥].

ويظهر أن اجتهاد بعض النحويين بقولهم إنها لغة ضعيفة، فيه نظر؛ لأن هذه اللغة هي الأصل والقاعدة المطردة في العربية القديمة وفي سائر اللغات السامية. فهذه اللغة ما هي إلا من الركام اللغوي وبقية باقية من الموروث اللغوي العربي السامي القديم

(١) وفي الشواهد القرآنية والشعرية توجهات أخرى. انظر: ابن الشجري، الأمالي، ١/٢٠٠-٢٠٤. وأبو حيان، التذييل والتكميل، ٦/٢٠٣-٢٠٦.

(٢) انظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ٢/١١٧.

(٣) انظر: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ٢/١٣١، ٢١٤.

(٤) انظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ٢/٧٣٩. ولعل النحويين الذين أشاروا إلى ضعف هذه اللغة، أرادوا بذلك أنها ليست المسلك الذي جري استعماله في اللغة المشتركة باطراد.

(٥) انظر: الشهاب الخفاجي، شرح درة الغواص، ٤١٥.

الذي يستنبط بالمقارنة اللغوية، وما حصل في العربية الشمالية ما هو إلا تطور مخصوص بها دون سائر الساميات[١].

ففي الأوغاريتية أمثلة لهذه الظاهرة، نحو: (ahr tmgyn ml>ak ym<) وتعني: بعد ذلك يصلون رسلُ يَمّ، فألحقت علامة الجمع بالفعل (tmgyn) والفاعل دال على الجمع[٢].

وفي العبرية: (wayyihyū šénēhem <ărūmmīm hā>ādām wé>istō) ويراد بها: وكانا كلاهما عريانين (أي آدم وزوجه)[٣]. وفيها أيضًا: (lōyāḳōmū rsāīm bammišpāṭ) أي لا يقومون الأشرار بالعدل[٤].

وفي الآرامية: (šmrw kl mlky> >lmsr hṭzrk) وترجمته الحرفية أقاموا كل الملوك حصارًا على حزرك[٥]. وفيها أيضًا: (my>tw >lmh >lhn blylh) أي ويأتون إليه الآلهة في الليل، وترجمته الأدبية: وتأتي إليه الملائكة في الليل[٦].

وفي السريانية: (dalmā négūrūn hérānē battāḳ) أي لئلا يزنون الآخرون بامرأتك[٧].

وفي الصفاوية: (hūrō >ahzāb) أي رجعوا الشعوب، وهو مثال مشترك بين الصفاوية والجعزية[٨].

(١) انظر: بيستون، قواعد النقوش العربية الجنوبية، ٢٩.
(٢) انظر: إلياس بيطار، قواعد اللغة الأوغاريتية، ١٧٣-١٧٤.
(٣) انظر: علي العناني وآخرون، الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، ٥٢٤.
(٤) انظر: رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٣٠٠.
(٥) انظر: إلياس بيطار، قواعد اللغة الأوغاريتية، ٦٤-٦٥.
(٦) انظر: يحيى عبابنة، النحو العربي المقارن، ١٩٤.
(٧) انظر: رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ٢٥٥.
(٨) انظر: يحيى عبابنة، النظام اللغوي الصفاوية، ٧٤.

وفي الجعزية: (wahṛorū >ahẓāb) أي فعادوا الشعوب، من الفعل (حارَ بمعنى ذهب أو رجَع)، وفيها أيضًا: (wabazahu welūdōmū) أي وكثروا أطفالهم[١].

وقد بقيت هذه الظاهرة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة، كقولنا مثلًا: (ظلموني الناس)، وهي امتداد للأصل السامي واللهجات العربية القديمة[٢].

٢,٢- لغة المطل في تاء المخاطبة:

يراد بالمطل هنا: مطل كسر تاء المخاطبة حتى تتولد ياء، وهذه الياء لها ثلاثة صور إما أن تكون متبوعة بضمير -وهي الأكثر- نحو (ضربتِيه)، وإما ألا تكون متبوعة بضمير نحو (فعلتِي)، وإما أن تكون مع ضمير المخاطبة المنفصل (أنتِي)[٣].

وتعزى هذه اللغة إلى ربيعة[٤]، وعزاها أبو العلاء المعري إلى عديّ الرِّباب[٥]، ووصف الخليل الصورة الأولى بأنها لغة قليلة[٦]، ووصفها الأخفش بأنها لغة رديئة[٧].

ومن شواهدها:

ما جاء في الحديث: "لا أنت أطعمتِيها ولا سقيتِيها حين حبستِيها، ولا أنت أرسلتِيها فأكلت من خشاش الأرض"[٨].

وقول الشاعر:

رميتِيهِ فأقصدتِ وما أخطأتِ الرَّميَه***بسَهمين مَليحين أعارتِكِيهما الظِّبيَه[٩]

(١) انظر: رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٣٠١.
(٢) انظر: رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٣٠٦-٣٠٧.
(٣) انظر: سيبويه، الكتاب، ٢٠٠/٤. وابن جني، الخصائص، ١٣٢/٣.
(٤) انظر: أبو حيان، التذييل والتكميل، ١٧٠/٢.
(٥) انظر: المعري، عبث الوليد، ٢٢٦.
(٦) انظر: سيبويه، الكتاب، ٢٠٠/٤.
(٧) انظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ٩١٢/٢.
(٨) انظر: البخاري، الأدب المفرد، ١٩٦، ح (٣٧٩).
(٩) انظر: ابن الأثير، البديع في علم العربية، ١٥/٢.

ويبدو أن مطل التاء أصيل في بعض اللغات السامية كالعبرية والآرامية والجعزية، وقد أشار إلى ذلك رمضان عبدالتواب أن الأصل في الماضي المسند إلى ضمير المؤنثة المخاطبة اتصاله بتاء مشبعة بكسرة طويلة (tī)، وهذه الحركة الطويلة بقيت لها متحجرات لغوية في العبرية نحو (šābartī) بمعنى كسرتِ، بيد أنها ضاعت واطرد سقوطها نحو (kāṭalt)، ولا تظهر إلا قبل ضمائر النصب نحو (rimmītīnī) بمعنى خدعتيني، وفي بعض نصوص العهد القديم مع المخاطبة ياء من البقايا المتحجرة تكتب ولا تلفظ نحو (limmadṯ) بمعنى علَّمتِ و(hālakṯ) بمعنى ذَهَبتِ.

ومثلما حدث في العبرية حدث في الآرامية، بَيد أن دليل الكسرة الطويلة وهو الياء ظل باقيًا رسمًا ليوحي أن المطل أصيل في هذا الضمير نحو (kṭalt) بمعنى قَتلتِ، ويدل على ذلك بروزها قبل ضمير النصب نحو (kṭaltīn) بمعنى قتلتِني.

ويلحظ هذه الكسرة الممطولة أيضًا في الجعزية، ولكنها تكون تابعة للكاف لا للتاء نحو (ḳatalkī) بمعنى قتلتِ، وهذه اللغة فاشية ومشهورة في اللهجات العربية الحديثة[١].

٣,٢- التمييم أو التمويم:

التمييم (memation) في اللغات السامية: هو ما يقابل التنوين في العربية، وطبقت العربية مسلك التمييم ردحًا من الزمن قبل انعطافها إلى استعمال ظاهرة التنوين، ويعني ذلك أنها استعملت التمييم والتنوين معًا، ثم نسيت ظاهرة التمييم مخلفة متحجرات لغوية أو بقايا متحجرة، واستقرت على ظاهرة التنوين، وأما بعض اللغات السامية فقد استقرت على ظاهرة التمييم[٢].

(١) انظر: رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) انظر: آمنة الزعبي، دراسات في فقه اللغة العربية، ٢١٤-٢١٥.

ومن البقايا المتحجرة للتمييم في العربية[١]، وذهب العلماء إلى أن الميم فيها زائدة:

- ابنٌ وابنمٌ: والميم في (ابنم) علامة تمييم فاقدة دلالتها، ثم نونت بعد أن ضعفت دلالة الميم، فصارت كأنها ميم زائدة على أصل الكلمة[٢].

- فو وفمٌ: (فو) يعدُّ من الأسماء الستة في العربية، وأما (فم) ففيه لاحقة التمييم الذي نسي أصلها، واكتفت السريانية بالصيغة الأخيرة نحو: (bé fūmāk) بمعنى فمك[٣].

- رجل شَدْقَمٌ: من الشدق أي واسعه، نونت مع وجود الميم الزائدة، وهي من بقايا التمييم الذي نسي أصلها[٤].

- رجل فُسْحُمٌ: من الانفساح، بمعنى واسع الصدر، والميم في آخره دالة على التمييم، ونوِّن بعد اندثار التمييم، ونسي أصل الميم الزائدة[٥].

- البلعم والبلعوم: يقال رجل بلعمٌ إذا كان شديد البلع للطعام، والبلعوم مجرى الطعام في الحلق، وهو من الجذر (بلع)، والميم فيها ميم التمييم الذي نسي أصلها، وعاملتها اللغة على أنها ميم أصلية ونونتها[٦].

- الحلقوم: مجرى النفس والسعال، وهو من الحلق والميم فيها زائدة، ويقال: محلقمٌ ومحلقنٌ ويراد به الرطب من التمر[٧].

(١) حاول بعض اللغويين المتقدمين جمع ما في طرفه ميم زائدة، ومنهم: ابن السكيت في القلب والإبدال، ص ١٤٧. وابن دريد في الجمهرة، ١٣٣٢/٣. والسيوطي في المزهر ٢٥٧/٢.

(٢) انظر: أبو حيان، التذييل والتكميل، ١٧٤/١.

(٣) انظر: برجشتراسر، التطور النحوي، ٥١. ورمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ٢٥٣.

(٤) انظر: ابن السكيت، كتاب الإبدال، ١٤٨.

(٥) انظر: ابن المؤدب، دقائق التصريف، ٣٧٠. وابن السكيت، كتاب الإبدال، ١٤٧.

(٦) انظر: ابن عصفور، الممتع، ١٦٤/١. والزبيدي، تاج العروس، ٣٠٥/٣١.

(٧) انظر: ابن عصفور، الممتع، ١٦٤/١. والزبيدي، تاج العروس، ٥٣٦/٣١.

ومما يؤيد أن العربية انتقلت إلى ظاهرة التنوين انتقالًا نهائيًّا قديمًا، استعمال اللهجات العربية البائدة التنوين، ففي اللحيانية جاء (ṯll ṯlln< bkhl ḥr bn d>) أي عيذ بن حر بن بكهل (في هذا الشهر) أطلل طللًا (قدَّم قربانًا)، فظهرت النون في (ṯlln) وهي نون التنوين، وتظهر نادرًا، والغالب فيها (ṯll)[١]. وفي الصفاوية نحو: (ḥubn) بمعنى حوبٌ، و(bakn) بمعنى بمباركة، و(sm<n) بمعنى سمعٌ[٢].

ومما يستهدى به على أن التمييم يقابل التنوين في بعض اللغات السامية، هو سير التنوين بجوار التمييم في المثنى وجمع المذكر السالم، فاللغات التي تستعمل النون لاحقة للمثنى والجمع كالعربية تحتوي التنوين في نظامها اللغوي، وأما اللغات التي تستعمل الميم لاحقة من اللواحق الدالة على التثنية والجمع فإنها تستعمل ظاهرة التمييم[٣].

ففي بعض اللهجات الكنعانية كالمؤابية تستعمل لاحقة النون كالآراميات والعربيات، نحو: (gbrn) بمعنى رجال، ومفرده (gbr) أي جَبْر وهو الرجل[٤]، مع أن الظاهرة الشائعة في المجموعة الكنعانية استعمال لاحقة الميم دالة على جمع المذكر والمثنى نحو (dmm>) بمعنى آدميون و(btm) بمعنى بيوت، و(drb>) بمعنى موقدان و(n<rm) بمعنى صبيان[٥].

واستعملت السريانية التنوين في نظامها اللغوي توارثًا من اللغة الآرامية كما في (rbrbn) بمعنى عظام[٦]، وربما تسرَّبت في الآرامية مفردة من لغة أخرى أو من مرحلة

(١) انظر: حسين أبو الحسين، قراءات لكتابات لحيانية، ١٢٧.

(٢) انظر: يحيى عبابنة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، ١٨٠.

(٣) انظر: يحيى عبابنة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، ١٨٠. وآمنة الزعبي، دراسات في فقه اللغة العربية، ٢١٨.

(٤) انظر: يحيى عبابنة، اللغة المؤابية في نقش ميشع، ٢٤، ١٠٢.

(٥) انظر: يحيى عبابنة، اللغة الكنعانية، ٢٥٩-٢٦٧.

(٦) انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ١٢٠-١٢١. ورمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ٩٣.

قديمة بلاحقة الميم كما في (>īmām) أي نهارًا، وذكر بروكلمان أن الميم فيها زائدة ولكنها احتسبت من أصل الكلمة بدليل مجيء الفتحة الطويلة الدالة على التعريف في الآرامية والسريانية (>īmāmā)[١].

وأما العبرية فقد تفشت فيها ظاهرة التمييم في حالتي التثنية (لاحقتها: āyim) وجمع المذكر (لاحقته: īm)، وتوافق في هذه الكنعانية الأم والأوغاريتية، ومن أمثلة الجمع: (sūsīm) بمعنى خيول، و(kélābīm) بمعنى كلاب، و(mélākīm) بمعنى ملوك[٢]. وأما في حالة الإفراد فلا يستعمل التنوين أو التمييم فيها، ولكن بقيت آثار من الظواهر المندثرة استعملت فيها لاحقة الميم في الأسماء المفردة نحو: (miyyāmīm yāmīmā) بمعنى من سنة إلى سنة و(šiašum) المتحولة إلى (šiašom) بمعنى قبل أمس[٣]، و(yōmām) أي يوميًّا، و(ḥinnām) أي مجانًا[٤]. وفي الجعزية بقايا دالة على لاحقة الميم نحو (temālem) بمعنى أمس، وتدل على أنها استعملت التمييم في بعض مراحلها[٥].

وتعدُّ ظاهرة التمييم في الأكادية مثل ظاهرة التنوين في العربية بيد أنها لا تفرق بين التعريف والتنكير، ولم تخضع لمعيار المتحجرات لكثرتها، وترد في نهاية الأسماء الدالة على المفرد المذكر، والمؤنث، وجمع المؤنث، معرفةً كانت أم نكرة، وتتحول لاحقة الميم هذه إلى لاحقة النون في التثنية كالعربية، ومن أمثلتها: (šamnum) بتمييم الضمة بمعنى سمنٌ و(šamnim) بتمييم الكسرة، و(ša>nam) بتمييم الفتحة بمعنى ضأن،

(١) انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ١٠٣.

(٢) انظر: علي العناني، الأساس في الأمم السامية، ٩٠. ورمسيس جرجس، التمييم والتنوين، ٥٤. وآمنة الزعبي، دراسات في فقه اللغة العربية، ٢١٩.

(٣) انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ١٠٢.

(٤) انظر: رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ٩٣. وإسماعيل عمايرة، تطبيقات في المناهج اللغوية، ١٤٨.

(٥) انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ١٠٢.

و(enzum) بمعنى ماعز، و(kašum) بمعنى كأس[١]، و(šarrum) بمعنى ملك ومثناه في الرفع (šarrān) وجمعه (šarrū)، و(šarratum) بمعنى ملكة ومثناها في الرفع (šarratān) وجمعها (šarrātum)[٢].

ومحصل ما تقدم أن التنوين عرضة للوهن اللغوي، فيفقد دلالته وينسى أصله، مما تدفع اللغة إلى توليد نمط لغوي منون آخر، وعند تحليلها يظهر أنها نونت مرتين، يتناسى فيها أصل التنوين الأول الذي وهنت دلالته على ما وُضع له.

٤,٢- هاء التعريف:

لم تتخذ العربية الفصحى هاء التعريف شعارًا أو أداة من أدوات التعريف، ولكن بقيت لها أثارة من المتحجرات اللغوية، وذلك فيما يرويه الزمخشري من قول الشاعر:

عرَضنا فقلنا هَسَّلام عليكمُ فأنكرها ضيق المجَمِّ غَيورُ[٣]

ويروى عند ابن جني بهاء التنبيه (ها السَّلام عليكم)[٤]. وقد عدَّ السيوطي من حروف التعريف (هل) في لغةٍ، وأن أصلها (أل) أبدلت همزتها هاءً[٥]، ويمكن توجيه الهاء في هذه اللغة بأنها هاء التنبيه دخلت على أداة التعريف، ونظير ذلك هاء التنبيه الداخلة على اسم الإشارة.

(١) انظر: عامر سليمان، اللغة الأكدية، ١٤٥، ٢٠٥. وإسماعيل عمايرة، المستشرقون ومناهجم اللغوية، ٣٢. وآمنة الزعبي، دراسات في فقه اللغة العربية، ٢١٨-٢١٩.

(٢) انظر: إلياس بيطار، قواعد اللغة الأوغاريتية، ١١٠.

(٣) انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ١٤٩/١.

(٤) انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢٦/٢.

(٥) انظر: السيوطي، النكت على الألفية والكافية، ٢١٤/١.

ومن المقرر عند بعض علماء الساميات أن أصل أداة التعريف السامية هي (الهاء واللام)[١]، ولعله يمكن تخريج هاء التعريف في العربية -إن صح هذا الشاهد الفريد أو ما حكي من لغة- بأن الهاء مختزلة من (هل) التي أصلها (أل)، وتبقى في كثير من الألفاظ بعد الإدغام الهاء وحدها، أو على مذهب من يرى أن الهمزة وحدها هي حرف التعريف على القول بإبدالها هاء، وإنما ضمت اللام إليها لئلا يشتبه التعريف بالاستفهام[٢].

وأقوى من ذلك كله القول إن الهاء أداة من أدوات التعريف؛ وما يرد في العربية منها فهو من البقايا المتحجرة من اللهجات العربية البائدة التي استقرت فيها ظاهرة التعريف بالهاء[٣]، ومن ذلك: في اللحيانية: (hnq) بمعنى النُّوق و(hṯll) بمعنى الطلل أو التقدِمة و(hdrt) بمعنى الناقة التي تدرُّ اللبن (بالنقحرة: هدَّرَّة)[٤]، و(hsfr) بمعنى النقش[٥]. وفي الثمودية: (h>sd) بمعنى الأسد و(h<f) بمعنى العرَّاف و(hmr>t) بمعنى المرأة و(hmmy) بمعنى الماء[٦]. وفي الصفاوية: (hatrt) بمعنى السترة أو المأوى و(hnhl̲) بمعنى النخل و(h>sd) بمعنى الأسد و(hbqr) بمعنى البقر[٧].

وأما اللغات السامية الأخرى فكان التعريف بسابقة الهاء ظاهرًا: ففي الكنعانية: (hb<>r) بمعنى البئر و(hbt) بمعنى البيت و(hḥrṣ) بمعنى الخرص أو الخراص أي الصائغ

(١) انظر: رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٢٤٢-٢٤٤. وغالب المطلبي، أداة التعريف في اللغة العربية دراسة تاريخية، ٩٧.

(٢) عزا الرضي هذا القول إلى المبرد نقلًا عن كتابه (الشافي)، وهو يخالف ما ذكره في (المقتضب) أن اللام للتعريف والهمزة ألحقت لسكون اللام فخولفت بحركتها لذلك. انظر: المبرد، المقتضب، ٢/ ٩٠. والرضي، شرح الكافية، ١/ ٥٠٠. وفي المسألة قولان آخران مشهوران: (أل) بمجموعها حرف تعريف وهو قول الخليل، أو اللام وحدها وهو قول سيبويه. انظر: سيبويه، الكتاب، ٣/ ٣٢٤. والزجاجي، اللامات، ٤١.

(٣) انظر: يحيى عبابنة، دراسات مقارنة في فقه اللغة العربية، ٧٦.

(٤) انظر: حسين أبو الحسن، قراءات لكتابات لحيانية، ٦٠، ٦٦، ١٦٧.

(٥) انظر: حسين أبو الحسن، نقوش لحيانية من منطقة العلا، ٦٦، ٧١.

(٦) انظر: يحيى عبابنة، دراسات مقارنة في فقه اللغة العربية، ٨٠-٨١.

(٧) انظر: يحيى عبابنة، دراسات مقارنة في فقه اللغة العربية، ٨٢-٨٣.

و(hḥṣb) بمعنى الحاســب، و(h<rpt) بمعنى الغرفة و(hpl) بمعنى الفول، وغيرها الكثير من الألفـاظ[١]. وفي العبريـة: (hassūs) بمعنى الحصـــان و(hammēlek) بمعنى الملـك و(haggādōl) الكبير و(hārōš) بمعنى الرأس و(hehārīm) بمعنى الأهرام أو الجبال[٢].

(١) انظر: يحيى عبابنة، اللغة الكنعانية، ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) انظر: عوني عبدالرؤوف، قواعد اللغة العبرية، ٣٦. ومحمد بدر، الكنز في قواعد اللغة العبرية، ٩٦.

٣- الخاتمة:

لفتت الدراسة النظر إلى أهمية الدراسات اللغوية السامية في معالجة بعض قضايا العربية، إذ وظفتها في تأكيد الآراء اللغوية العربية أو مناقشتها أو الاستئناس بمعطياتها في توجيه بعض المسائل وتفسيرها بمستواها التركيبي.

وقد توصلت الدراسة بكيفية هذه المعالجة إلى النتائج الآتية:

- إن الأصل المطرد في الساميات هو لغة (أكلوني البراغيث)، وما في العربية وبعض لهجاتها من شواهد فهي امتداد للأصل السامي، وما حدث في العربية الشمالية ما هو إلا تطور مختص بها دون سائر الساميات.

- مطل تاء المخاطبة أصيل في بعض اللغات السامية كالعبرية والآرامية والجعزية، وما في بعض اللهجات العربية فهو من الركام السامي، فلغة المطل لغة فصيحة وليست رديئة كما قيل.

- استعملت العربية التمييم والتنوين معًا، وكذلك بعض الساميات، ولكن تنوسيت ظاهرة التمييم في العربية لاستقرارها على ظاهرة التنوين، وأما بعض الساميات الأخرى فقد استقرت على ظاهرة التمييم.

- الهاء أداة من أدوات التعريف في الساميات؛ وما يرد في العربية منها فهو من البقايا المتحجرة من اللهجات العربية البائدة التي استقرت فيها ظاهرة التعريف بالهاء.

توصيات البحث:

يوصي البحث في ختامه بما يأتي: تصحيح أنظار ما ترسخ في الذهن تجاه بعض القضايا أنه من قبيل اللحن أو العدول عن الفصاحة كلغة أكلوني البراغيث ولغة المطل في تاء المخاطبة، والتوسع في مباحثة الركام السامي التركيبي.

المصادروالمراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد (٢٠٠٠) البديع في علم العربية، تحقيق: فتحي أحمد، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٩٨) الأدب المفرد، تحقيق: سمير الزهيري، الرياض: مكتبة المعارف.
- برجشتراسر، جوتهلف (١٩٩٤) التطور النحوي للغة العربية، تحقيق: رمضان عبدالتواب، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- بروكلمان، كارل (١٩٧٧) فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبدالتواب، الرياض: جامعة الرياض.
- بيستون، ألفرد (١٩٩٥) قواعد النقوش العربية الجنوبية، ترجمة: رفعت هزيم، عمان: مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية.
- بيطار، إلياس (١٩٩٢) قواعد اللغة الأوغاريتية، دمشق: منشورات جامعة دمشق.
- جرجس، رمسيس (١٩٦١) التمييم والتنوين، القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، العدد (١٣).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٨٣) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- _____ (١٩٨٥) سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق: دار القلم.

- أبو الحسن، حسين (١٩٩٧) قراءات لكتابات لحيانية، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.
- _____ (٢٠٠٢) نقوش لحيانية في منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة، الرياض: مطبوعات وزارة المعارف.
- أبو حيان، محمد بن يوسف (١٩٩٨) ارتشاف الضرب، تحقيق: رجب عثمان ورمضان عبدالتواب، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- _____ (١٩٩٩) البحر المحيط، تحقيق: صدقي جميل، بيروت: دار الفكر.
- _____ (١٩٩٨-٢٠٢٣) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق: دار القلم؛ الرياض، دار كنوز إشبيليا.
- الخطيب التبريزي، يحيى بن علي (١٩٥١) شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عزام، القاهرة: دار المعارف.
- ابن دريد، محمد بن الحسن (١٩٨٧) جمهرة اللغة، تحقيق: منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين.
- دوزي، رينهارت (١٩٧٩) تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد النعيمي، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
- الرضي الأستراباذي، محمد بن الحسن (١٩٩٦) شرح الكافية، تحقيق: يوسف عمر، بنغازي، جامعة قاريونس.
- الزَّبيدي، محمد المرتضى (١٩٦٥) تاج العروس، تحقيق: عبدالستار فراج وآخرين، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥.

- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن (١٩٨٥) اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دمشق: دار الفكر.
- الزعبي، آمنة (٢٠١٩) دراسات في فقه اللغة العربية وفهم أسرارها، إربد: دار الكتاب الثقافي.
- الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٩٨) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سيبويه، عمرو بن عثمان (١٩٨٨) الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (٢٠٠٧) النكت على الألفية والكافية، تحقيق: فاخر مطر، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد (١٩٩٧) شرح درة الغواص، تحقيق: عبدالحفيظ فرغلي وعلي القرني، بيروت: دار الجيل.
- عبابنة، يحي (٢٠٠٠) اللغة المؤابية في نقش دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة، عَمان: جريدة المستور.
- _____ (٢٠٠٣) اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، عَمَّان: دار مجدلاوي.
- _____ (٢٠١٦) النحو العربي المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة، إربد: دار الكتاب الثقافي.
- _____ (٢٠٢٠) دراسات مقارنة في فقه اللغة العربية، عمان: دار كفاءة المعرفة.

- عبابنة، يحيى والزعبي، آمنة (٢٠١٤) معجم المشترك اللغوي العربي السامي، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
- عبدالتواب، رمضان (١٩٨٣) في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- _____ (١٩٩٩) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- عبدالرؤوف، عوني (١٩٧١) قواعد اللغة العبرية، القاهرة: الهيئة العامة للكتب بمطبعة جامعة عين شمس.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن (١٩٩٦) الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: مكتبة لبنان.
- عمايرة، إسماعيل أحمد (١٩٨٨) المستشرقون ومناهجهم اللغوية، إربد: دار الملاحي.
- _____ (٢٠٠٠) تطبيقات في المناهج اللغوية، عَمان: دار وائل.
- العناني، علي وآخران (١٩٣٥) الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- ابن مالك، محمد بن محمد (١٩٩٠) شرح التسهيل، تحقيق: عبدالرحمن السيد وأحمد المختون، الجيزة: دار هجر.
- المبرد، محمد بن يزيد (١٩٩٤) المقتضب، تحقيق: عبدالخالق عضيمة، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف.

- المطلبي، غالب (١٩٩٠) أداة التعريف في اللغة العربية دراسة تاريخية، بغداد: مجلة المورد، العدد (٢).
- المعري، أبو العلاء (١٩٧٦) عبث الوليد، تحقيق: ناديا الدولة، رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة القاهرة.
- ابن هشام، عبدالله بن يوسف (١٩٩١) مغني اللبيب، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
- ولفنسون، إسرائيل (١٩٢٩) تاريخ اللغات السامية، القاهرة: مطبعة الاعتماد.